

المحور الأول	مدخل تحليلي إلى تطور مفهوم القيمة	الدرس الأول	المفهوم التقليدي والحديث للقيمة
أهداف الدرس	<ul style="list-style-type: none"> ○ الوقوف على المدلول اللغوي لمصطلح القيمة؛ ○ تبيان المعنى الاصطلاحي التقليدي والحديث للقيمة؛ ○ التعرف على أهم العناصر الضمنية المحددة للقيمة؛ ○ توضيح الميادين والمجالات التي يتضح ويحدد من خلالها مفهوم القيمة. 		

تمهيد:

عند تصنيف موضوع القيمة من حيث زمن ظهوره يصنف على أنه قديم النشأة ولكن توظيفه كمفهوم يتطور باستمرار حسب التغيرات البيئية، وذلك يعود إلى تداوله عبر العصور التاريخية المختلفة من عدة زوايا مختلفة، وفقا لما سرده الفكر الاقتصادي، حيث استخدم مصطلح " القيمة " من طرف بعض الفلاسفة ومفكري وعلماء العصور القديمة والوسطى، غير أن مساحة الاهتمام لدى مفكري العصر الحديث والمعاصر اتسعت أكثر وشملت مجالات لدراساتها أكثر عمقا واختلافا في بعض النواحي، فلم يقتصر موضوع القيمة على المجالات الفلسفية، الاجتماعية الفنية، الدينية والاقتصادية فحسب، بل انتقل التفكير إلى المجال الإداري وحتى المحاسبي والمالي، وهو ما يدل على الانتقال أو التحول التدريجي من الرؤية المقتصرة على ربط القيمة بالربح المحقق من طرف المؤسسات إلى التركيز على مفهوم "خلق القيمة" لتتضح بذلك آليات تحقيقها وأبعاد ومقاييس التقييم المحدية والتناسبة مع المتغيرات البيئية الحالية، وكذا تبيان مختلف الأطراف الآخذة وذوو المصلحة، الذين وجب إنشاء القيمة لهم في ظل الاقتصاد الحالي الذي يفرض دائما ضرورة تغيير وتطوير قواعد العمل في مجال صناعة وريادة الأعمال؛

ونتيجة للتطورات الراهنة وكذا المستقبلية، لا بد من الالتفات نحو إنشاء القيمة المضافة باعتبارها هدفا استراتيجيا تبذل لأجل تحقيقه كافة الجهود وتسخر له الإمكانيات اللازمة، كما تعد القيمة المحور الرئيسي للتحليل الاقتصادي وكذا مقياسا ومؤشرا هاما للحكم على الأداء، وبالنسبة لمدلولها الاصطلاحي فقد اختلف في تحديده وتضاربت الكثير من الأفكار التي درسته من حيث المحددات الأساسية التي بناء عليها يمكن وضع تعريف لها، وتعد تلك الأفكار اسهامات العديد من المنظرين والمفكرين واضعي الأسس العلمية لنظريات القيمة، وقبل التطرق إليها وإلى المقاربات الدارسة لموضوع القيمة، سيتم أولا في هذا الدرس تفسير مدلول لفظ القيمة من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية.

مفهوم مصطلح القيمة:

بالرجوع إلى التأصيل النظري لموضوع القيمة، يلاحظ أن أغلب الأدبيات التي تناولت وعالجت موضوع خلق القيمة، لم تظهر اتفاقا على تحديد وتصوير معنى موحد أو جامع بين مختلف الدارسين لهذا الموضوع، فبرزت العديد من التصورات منها ما أخذت القيمة بالبعد المادي في صورة نقدية أو غير نقدية ولكن ملموسة، كما يمكن أن تمثل اعتبارات غير ملموسة ذات بعد معنوي وهو ما يدعو لوصفها بأنها مفهوما متحركا ومتشعبا، يمكن معالجته من ناحية المجال الذي تستخدم فيه أو التخصص الذي تدرس فيه وكذا الهدف من تحقيقها، وعلى هذا الأساس سيتم توضيح المعنى اللغوي والمفهوم التقليدي والحديث لمصطلح القيمة.

أولا: المدلول اللغوي لمصطلح القيمة: عندما يقال قيم الشيء: يقصد بذلك إعطائه وزنا، مقياسا، معيارا ومقدارا، أي حدد له مقابل. (مدلول مادي)

مثلا يمكن القول أقام الشيء وهو الفعل من المصدر قيامه الأشياء: يقصد بها تسديدها وتعديلها وجعلها قائمة، أي أن القيمة ترتبط بصفات كالأستقامة والاعتدال، الإدامة والثبات والاستقرار (مدلول معنوي)، وعليه فإن القيمة أو القيم هي كل:

مقياس للأشياء المادية.

وحكم على ما هو معنوي.

وفي قواميس اللغة الإنجليزية تعرف كلمة (Value) بأنها تعني الشيء الثمين ذو الأهمية، ويرجع في أصله الاشتقاقي إلى الفعل اللاتيني (Valeo) الذي يدل على القوة، ومعناه الأصلي "أنا قوي" فيشمل من هذه الناحية الشجاعة والصلابة والقوة.

وعليه يمكن القول أن القيمة هي وصف لخاصية جعل الأشياء المعنوية أو المادية مرغوبا فيها، ويتضح ذلك من خلال التعريف الاصطلاحي.

ثانيا: التعريف الاصطلاحي للقيمة: محاولة لتحديد دلالة لفظ القيمة لابد من تحديد المقاربات المحددة له، كونه يعد من المفاهيم الفكرية النسبية التي تحتمل تفسيرات شتى، وهو الأمر الذي يصعب تحديد معنى دقيق وموحد له، ويحد من حصر تعريفها من زاوية واحدة، وإن كان لابد من توضيح معناه أو معانيها بالأحرى، فإن الأمر يرجع إلى إشكالية معرفة التخصص والاتجاه أو المجال الذي توظف وتحدد فيه، فلفظ القيمة في المجال الاقتصادي يختلف مدلوله عن معناه في المجال الإداري أو الاجتماعي، وكذا الأدبي والفلسفي وغيره، وبالرجوع إلى المجال والتخصص يمكن توضيح العديد من المفاهيم، منها الأمثلة في المجالات التالية:

● **الأدبية والفنية والإنسانية:** تأخذ القيم طابع معنوي يرتبط غالبا بالمبادئ والأخلاقيات والفنون، مثل قيمة الأعمال الأدبية من ناحية قوة الأسلوب وصدق العاطفة.

● وكذلك نجد القيمة الوطنية مثل حب الوطن وقوة الرغبة في الدفاع عنه، والقيم الأخلاقية والإنسانية وحتى الدينية والتي تعد أساس تنظيم وتوجيه الحياة البشرية، فالدين أصلا أساسه القيم التي لابد من احترامها والتمسك بها، مثل الأمانة والصدق، الاحترام، تحقق العدل، دعوة الحق، وغيرها.

● **الفلسفية:** بنظرة فلسفية الأمر يدرس أيضا من الناحية المعنوية والروحية، فالقيمة فلسفيا تتحقق من خلال ثلاث محددات وهي: **الهدف الفعل، الإحساس،** أي أن القيمة تعبر عن ميزات وصفات في الأشياء تجعلها محل تقدير، مثلا في الفلسفة اليونانية تتصل القيمة بتصور كل مثل أعلى إنساني، ومن أهم الأمور التي تناولتها الأخلاق، فمن خلال القيم قدم أفلاطون نظريته حول المدينة المثالية والمجتمع المثالي.

● **الاجتماعية:** تتحدد القيم المعنوية بكل ما هو موجه ومقوم للسلوك أي كل ما هو مرغوب فيه اجتماعيا إزاء الذات والمجتمع حيث تنتج تلك القيم من خلال تزاوج الرغبة الذاتية مع القبول الاجتماعي للضوابط الشرعية المتفق عليها (العرف الاتفاقي) فالقيمة في المجتمع تنطلق مما يرغب فيه الأفراد ويفضلونه، والتي ترجع على المجتمع، وكل خارج عن القيم الاجتماعية هو خارج عن العرف.

ما يلاحظ على هذا المدخل لدراسة القيمة أنه يغلب عليه الطابع المعنوي، على عكس القيمة وفق المقاربة الاقتصادية أو المالية والحاسبية فهي لا تتحدد فقد باعتبارات معنوية بل تأخذ البعد المادي والكمي.

وفي غالب الأحيان من الناحية الاقتصادية يقترن تعريف القيمة بالسعر، حيث أن سعر السلعة هو التعبير النقدي عن قيمتها أو بالثمن، غير أنه هناك من الاقتصاديين من يرى ضرورة التفرقة بين المصطلحات الثلاث: القيمة، السعر والثمن، حيث يشير المصطلحين الأخيرين في معناهما إلى:

● **سعر السوق:** يعبر عن القيمة التي يشيع التعامل بها بين الناس مع اختلافهما عن الثمن؛

● **الثمن:** يمثل ما تراضى عليه المتعاقدان، وعليه فإن الثمن يمكن أن يكون مساويا أو أكبر أو أقل من (السعر) مع ملاحظة التعبير الجماعي لمصطلح السعر بعكس الثمن الذي يعبر عنه في حالات فردية بين متعاقدين أو أكثر لا يصلون إلى حد الكثرة.

وعليه فإن القيمة هي الثمن النسبي أي ثمن السلعة أو الخدمة منسوبا إلى غيرها من السلع والخدمات الأخرى، بينما السعر يعتبر رقما مطلقا ويمثل التعبير النقدي عن القيمة للوحدة الواحدة من السلعة أو الخدمة.

ما يلاحظ من هذا المفهوم أن القيمة تتحدد بالسعر ولكن هذا الأمر لا يصلح في جميع الأحوال، وهو ما نتج عن معالجة ودراسة بعض المفكرين الاقتصاديين والفلاسفة لموضوع جدلية القيمة، حيث يمكن للفظ القيمة أن يتحدد بعوامل وعناصر أخرى بينها اسهاماتهم وأفكارهم التي تأرجحت بين نظرة العصور القديمة والعصر الحديث وسيتم تفصيلها عند التطرق إلى نظريات القيمة، وبناء على أفكارها تم تصنيف مفهوم القيمة كالتالي:

I. المفهوم التقليدي للقيمة: شاع استخدام لفظ القيمة منذ الحضارات القديمة عند الفلاسفة، حيث ارتبط مدلولها في الفكر الفلسفي بالمبادئ والأخلاق، فاختلقت في الدراسة بين أحدها للبعد الميتافيزيقي، والذاتي والمعنوي، وبين البعد الموضوعي، والذي يعد ظهور الحاجة إلى المبادلة (المقايضة آنذاك) سببا في دراستها من الناحية الاقتصادية والتجارية، فقد كان من الضروري معرفة الشيء الذي يجعل السلع متساوية عند تبادلها (مقياس للقيمة) وهو ما ذهبت إليه بحوث أفلاطون وأرسطو، حيث بين أفلاطون أن القيمة تظهر وتفسر عند تبادل السلع.

غير أن تلميذه أرسطو فسر أكثر هذه الفكرة وفرق بين نوعين من القيمة وهما القيمة الاستعمالية والقيمة التبادلية، وأكد أن كل سلعة تكون لها قيمة استعمالية تنتج عن استخدامها في إشباع الحاجة الإنسانية، وأخرى تبادلية وهي ما نحصل عليه من سلع في السوق نتيجة لمبادلة بالسلع التي يحتاج إليها مالك هذه السلعة.

II. المفهوم الحديث للقيمة: القيمة لم تطرح بشكل منعزل عن الفلسفة إلا في العصر الحديث، وترجع بوادر دراسة هذا الطرح إلى مساهمات المفكرين الاقتصاديين رواد المدارس الفكرية الاقتصادية المختلفة، واضعي نظرية القيمة والتي سيتم التعرف عليها في الجزء الثاني من هذه المحاضرة منهم من أكد أفكار أفلاطون وأرسطو، ومنهم من كان له رأي آخر حول العناصر الأساسية التي ترتبط بالقيمة مثل العمل، المنفعة، عوامل الإنتاج وغيرها؛

بنظرة معاصرة إلى مفهوم القيمة وخاصة من الناحية المالية، فقد ارتبط موضوع خلق القيمة بتحقيق مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص، حيث يتعدى الأمر الاهتمام بإنشاء وتحقيق القيمة للزبون على الرغم من أنها تمثل محور العملية، إذ لا بد من إنشاء القيمة أيضا للأطراف الفاعلة، حرصا أولا على تعظيم أهداف المؤسسة من اخلق القيمة، تأكيد أنه لأجل من الضروري بمراعاة إنشائها إلى الأطراف الفاعلين، وهم الذين تربطهم بالمؤسسة علاقات تفاعلية باعتبارهم الأطراف ذوي المصالح المشتركة والذين لهم تأثير كبير على خلق القيمة في المؤسسة، وبالتالي نشأت ما يسمى بالقيمة المشتركة، القيمة التساهمية، وغيرها والتي سيتم توضيحها بعد التطرق إلى النظريات التي تناولت دراسة موضوع القيمة.